

# مقدمة: دروس مستفادة من أزمة كوسوفو

بقلم: ماثيو ج. غيبني، محرر زائر



Carime Owen

مارسدن قضية إعادة التوطين كما يشكك في انطباق شروط العودة الطوعية بصورة كاملة على من لجأوا إلى مقدونيا. وأخيراً، أتساءل في مقالي عن السر في الاستجابة الإنسانية القوية التي استنارتها محنة أهل كوسوفو في نفوس جماهير الغرب، كما أتناول فرص تكرار رد الفعل السالف الذكر إزاء حالات الهجرة القسرية التي لا تحظى بهذا القدر من الاهتمام الجماهيري.

ولكن مأساة كوسوفو لم تنته بعد، فالتوتر لا يزال يعم أراضيها، ومازال سكانها نازحين، ولم يلق جيش تحرير كوسوفو سلاحه بعد، ولم يعد جميع اللاجئين من ألبان كوسوفو إلى ديارهم. وعلاوة على ذلك، مازلنا بحاجة إلى الفاصل الزمني الذي يمكننا من وضع كوسوفو وأزمتهما في إطارها الصحيح. إن ما يقدمه من ساهموا في هذا العدد من "نشرة الهجرة القسرية" لا يتجاوز تأملات مبكرة في معنى ومضامين أزمة كوسوفو والدروس المستفادة منها. وهم مختلِفون فيما بينهم حول ما إذا كانت كوسوفو تمثل نقطة تحول في التعامل مع قضية الهجرة القسرية، أم إذا كانت تعبر ببساطة عن دروس كان ينبغي تعلمها ومشكلات قد تكرر حدوثها. بيد أنهم متفقون على ضرورة التعلم من أزمة كوسوفو، وهو في نهاية المطاف ما نتوقعه من كل مهتم بمصير المهجرين قسراً.

ماثيو ج. غيبني، أستاذ مادة الهجرة القسرية (مقعد إليزابيث كولسون) في برنامج دراسات اللاجئين بجامعة أو كسفورد.  
بريد إلكتروني: [matthew.gibney@qeh.ox.ac.uk](mailto:matthew.gibney@qeh.ox.ac.uk)

الأرض في عالم ما بعد الحرب الباردة. وعلاوة على ذلك، فهو واحد من تلك الأحداث القليلة التي تذكرنا تذكراً مفيدة بالمشكلات والمصاعب التي تواجهها الدول والمنظمات غير الحكومية والمنظمات الدولية التي تهب إلى العمل تحت إلحاح الحتميات الإنسانية. والسؤال المطروح هو، ما هي الدروس والعبر المستفادة من أزمة كوسوفو؟

إن المقالات المنشورة في هذا العدد تمثل قطاعاً عريضاً من الإجابات على السؤال السالف الذكر، فقد وردت من أساتذة أكاديميين ومن عاملين في منظمات غير حكومية ومنظمات دولية. وهي تتراوح في نبرتها بين حماس غضوب، وله مبرراته في الوقت ذاته، يتمثل في تفسير ريتشارد كابلان لعواقب تدخل حلف شمال الأطلسي في مقاله "أزمة كوسوفو ودلالاتها بالنسبة للتدخلات الإنسانية"؛ وبين نبرات أخرى متشائمة كما في سرد مايكل باروتشيسكي عن كيفية تأثير عمليات القصف الجوي على سلطة مجلس الأمن واستقرار البلقان الإقليمي في مقاله "الدبلوماسية الغربية وأزمة اللاجئين في كوسوفو". ويذكرنا دافيد كورن وروبرت كوهين في مقالهما "التعاسع عن مؤازرة النازحين داخل أوطانهم" بعدم كفاية الحماية الدولية المتاحة لأكثر فئات ألبان كوسوفو ضعفاً وبؤساً، ألا وهم النازحون داخل وطنهم الذين لم يتمكنوا من الحصول على المساعدات الإنسانية التي تتوافر في الدول المجاورة.

والمقالات الثلاثة التالية تتناول كوسوفو وأزمتهما من منظور الوكالات الدولية. إذ يحلل نيكولاس موريس في مقال "كوسوفو والمفوضية العليا لشؤون اللاجئين" تطورات تدخل المفوضية العليا في المنطقة. ويناقش بيتر موريس في "التدخلات الإنسانية في مقدونيا" دور حلف شمال الأطلسي في تقديم المعونة الإنسانية وعلاقة ذلك الحلف بالمفوضية العليا والمنظمات غير الحكومية. وأخيراً، يستعين توبي رورتر في "التنسيق في محيط من الفوضى" بتجاربه في ألبانيا لتوضيح المشكلات المرتبطة بالتنسيق بين أنشطة المنظمات الإنسانية في الأماكن التي يوجد بها لاجئون.

وآخر مقالين هما مقال بيتر مارسدن "الواقع والخيال" ومقالي "كوسوفو وما بعدها". ويتناول

من المفروض في الأصل أن يخصص هذا العدد من "نشرة الهجرة القسرية" لاستكمال النقاش حول قضية الهجرة القسرية والأمن. بيد أنه اتضح في مرحلة مبكرة جداً من إعداد هذه الطبعة، أن أحداث البلقان أدت إلى أكبر عملية نزوح قسري عرفتها أوروبا في التاريخ الحديث. وفي ظل تطورات هذا شأنها وتزايد الاهتمام بها في الأوساط الأكاديمية والعملية على حد سواء، قرر محررا النشرة تخصيص الجزء الأكبر من هذا العدد لتناول قضية كوسوفو.

وإذا كان محور هذا العدد قد تغير، فإن ذلك لا يعني بحال من الأحوال أن قضية الأمن قد فقدت أهميتها القصوى، فأزمة كوسوفو توضح بصورة لا تغيب عن كل ذي بصيرة مدى الترابط الوثيق بين قضايا الهجرة القسرية من جهة، والأمن الوطني والدولي من جهة أخرى. لقد كان المهجرون قسراً عنصرًا محوريًا يتمثل في كل جزء من استجابة الدول للأزمة. وكان مما أضفى الشرعية أصلاً على تدخل الدول الغربية في الأزمة رغبتها في الحيولة دون تفشي الاضطراب واليأس اللذين يواكبان النزوح على المستويين المحلي والدولي. وقد ردت صربيا على تدخل الدول الغربية، الذي بلغ ذروته عندما بدأت طائرات حلف شمال الأطلسي (الناتو) عمليات القصف الجوي في ٢٤ مارس/آذار، بطرد المواطنين ذوي الأصول الألبانية من كوسوفو، مما أدى إلى تدفق أعداد هائلة من اللاجئين على ألبانيا ومقدونيا والجبل الأسود. وسرعان ما اتضح، مع تصاعد الأزمة، أن عودة اللاجئين إلى كوسوفو سالمين آمنين هو مطلب الدول الغربية الرئيسي حتى توقف عمليات القصف. بيد أن الهجرة القسرية لا تزال تمثل التحدي الأعظم الذي يواجهه الإقليم حتى في الوقت الحاضر، أي بعد عودة معظم اللاجئين إلى ديارهم ودخول قوات حلف شمال الأطلسي إلى كوسوفو. وفي وقت كتابتي لهذا المقال، يهدد هروب المواطنين الصرب وأفراد طائفة روما من كوسوفو بتحويل الإقليم إلى كيان عرقي واحد. بل إن ثمن نجاح تدخل الغرب لصالح ألبان كوسوفو قد يكون تحويل الإقليم إلى وطن غير آمن بالنسبة لأبناء هاتين الطائفتين.

وما من حدث قريب إلى الأذهان يوضح على هذا النحو الدور الهام الذي أدته قضية الهجرة القسرية في توسيع دائرة أهداف الأنشطة الإنسانية لدول